المبحث الخامس
الانسحاب المنظم وانتهاء المعركة

الانسحاب المنظم:

«ضاعف المشركون من حملاتهم على مقر النبي ﷺ بعد أن عرفوا مكانه بعد الانتكاسة، وتلاحقت هجماتهم عليه بغية التخلص منه، وقد كان خليقًا بالمشركين أن يسحقوا المسلمين سحقًا كليًّا عند انتقاض صفوفهم وانفراط عقد نظامهم، وأن يقضوا على القائد الأعلى النبي ﷺ ساعة انفراده بعد انهزام الناس عنه.

ولكن ثبات الرسول ﷺ واستبسال القلة من خلصاء أصحابه الذين استماتوا في الدفاع عنه ساعة اضطراب صفوف المسلمين بعد غلطة الرماة، كان له أكبر الأثر في إحباط الهجمات التي قام بها المشركون بغية الفتك بالذات النبوية، كما كان له أكبر الأثر في إعادة تنظيم المسلمين الذين ما كادوا يسمعون بسلامة قائدهم الأعلى النبي ﷺ ويعرفون مقره حتى سارعوا إلى التكتل حوله من جديد مما فوت على المشركين أثمن فرصة كانت قد سنحت لهم». [غزوة أُحد لباشميل ١٥٨-١٥٩].

الرسول ﷺ يَشْرع في الانسحاب نحو الجبل:

«لقد كان هدف الرسول ﷺ هذه المرة، وبعد أن تجمع الكثير من جنده حوله، الارتداد بجيشه إلى مواقع حصينة في جبل أُحد؛ لتجنيبهم خطر التطويق والإبادة من جديد.

لاسيما أن بقاءهم في المكان الذي دارت فيه المعركة يعرضهم لذلك، فهم وإن أبدوا بطولة نادرة في الاحتفاظ بمواقعهم حول نبيهم ﷺ، وحمايته من هجمات المشركين السريعة الخاطفة، إلا أنهم مهددون مع نبيهم بالتطويق من جديد، وخاصة إذا تجمعت حولهم كل القوى القرشية التي كان الكثير منها لم ينضم إلى القوة التي كانت تهاجم الرسول ﷺ، والذين تجمعوا حوله.

وهذا هو الذي جعل الرسول ﷺ يسارع بالانسحاب نحو الجبل بعد أن تجمع حوله من أصحابه قوة كانت كافية لحماية النبي ﷺ، ومن معه أثناء هذا الانسحاب». [غزوة أُحد لباشميل ١٥٩].

نجاح الانسحاب وأثر إشاعة مقتل النبي ﷺ على المشركين:

«ومما ساعد في تسهيل انسحاب المسلمين إلى مواقع حصينة في الجبل دونما خسارة تُذكر هو أن كثيرًا من المشركين صدَّقوا نبأ مصرع النبي ﷺ الذي أعلنه ابن قمئة الذي قَتل مصعب بن عمير ﷺ فظنه الرسول ﷺ، فنادى: لقد قتلت محمدًا.

فكثير من هؤلاء المشركين ـ ومنهم القائد العام أبو سفيان ـ ظنوا أن محمدًا ﷺ قد قُتل؛ ولذلك كف الكثير منهم عن القتال ظنًّا منهم أن هزيمة المسلمين كانت ساحقة لا قومة لهم بعدها، فأخلد الكثير منهم إلى الراحة وانشغل بالتمثيل بقتلى المسلمين.

قال العصامي: واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون، وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ. [سمط النجوم العوالي ٢/ ٨٧].

ولقد اغتنم الرسول ﷺ فرصة تصديق بعض المشركين إشاعة مقتله فسارع بالارتداد نحو الجبل بمن معه من الصحابة الذين سارعوا إلى التجمع حوله.

وقد كان ﷺ حريصًا على أن لا يعرف المشركون مكانه حينذاك، ولا أدل على ذلك من أن كعب بن مالك ﷺ لما عرفه بعد إشاعة مقتله صاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله، فأشار إليه ﷺ بأن يسكت؛ لئلا يزداد عدد الذين يعرفون مكانه من المشركين.

وبالرغم من أن المشركين سمعوا صيحة كعب بن مالك ﷺ فإن أكثرهم لم يصدقها ظنًّا منهم أنها صيحة إنما أُريد بها شد عزائم المسلمين الذين ألقى البعض منهم سلاحه لإشاعة مقتل النبي ﷺ». [غزوة أُحد لباشميل ١٥٩-١٦٠].

انسحاب المسلمين ليس انسحاب المنهزم:

«واصل الرسول ﷺ انسحابه عبر الشِّعْبِ نحو الجبل تحت حماية قوة منظمة من خلصاء أصحابه، وكان هذا الانسحاب ليس بانسحاب المنهزم الذي لا يلوي على شيء ولا يقاتل ساعة الانسحاب.

بل كان انسحاب الرسول ﷺ هذا انسحابًا منظمًا جرى في حالة استعداد وتعبئة وانتظام من الذين قاموا به وأشرفوا على تنفيذه.

فقد ظل الذين قاموا بهذا الانسحاب المنظم، وعلى رأسهم الرسول القائد ﷺ، يقاتلون بثبات وقوة أثناء قيامهم بهذا الانسحاب حتى وصلوا إلى المكان الذي حدده القائد الأعلى الرسول ﷺ من الجبل للاعتصام به والتحصن فيه». [غزوة أُحد لباشميل ١٦٠].

ضراوة القتال أثناء الانسحاب:

«ولقد اشتد المشركون في مطاردتهم وضاعفوا من هجومهم بغية الفتك بالرسول القائد ﷺ منذ ما شرع في الارتداد بجيشه نحو الجبل.

فكرَّ أحد فرسان المشركين، وهو عثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأركض فرسه نحو رسول الله ﷺ قاصدًا الفتك به، وهو يقول: لا نجوتُ إن نجا، يعني النبي ﷺ.

فوقف الرسول ﷺ واستعد لمواجهته، ولكن الفرس أثناء ركضها عثرت به في بعض الحفر، فسارع إليه أحد حرس الرسول الأقوياء، وهو الحارث بن الصمة ﷺ، لمنازلته، وبعد مصادمة طويلة جرت بينهما بالسيف ضربه الحارث على رجله فأقعده ثم ذفف عليه وأخذ سلاحه، ثم التحق بالرسول ﷺ، فقال النبي ﷺ: **الحمد لله الذي أحانه** (أي أهلكه). [إمتاع الأسماع ١/ ١٥٦].

ثم تزايد هجوم المشركين لعرقلة انسحاب المسلمين وتَسَابَق فرسان مكة لقتل النبي ﷺ وهو لما يزل في بطن الشِّعْبِ، وانقض أحد فرسان مكة، وهو عبيد الله بن جابر العامري، على الحارث بن الصمة ﷺ فضربه بالسيف على عاتقه وأصابه بجرح بليغ مما أجبر المسلمين على إسعافه وحمله.

ولكن أبا دجانة ﷺ البطل المشهور عطف على الفارس القرشي عبيد الله العامري وضربه بسيفه ضربة أطارت رأسه وأراح المسلمين من شره». [غزوة أُحد لباشميل ١٦١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». [مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ إِلَّا أَرْبَعَةٌ، أَحَدُهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، قُلْتُ لِأَبِي: فَأَيْنَ كَانَ عَلِيٌّ؟ قَالَ: بِيَدِهِ لِوَاءُ الْمُهَاجِرِينَ». [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٣ رقم ١٠٠٨١، وقال الهيثمي: رواه البزار [كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٣٢٤ رقم ١٧٩٠]، والطبراني [المعجم الكبير ٩/ ٩٥ رقم ٨٥١٥، والمعجم الأوسط ٨/ ٩٦ رقم ٨٠٧٩]، وفيه يحي بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف].

الشقي الذي قتله الرسول ﷺ بيده:

ثم أقبل الشقي أُبيُّ بن خلف الجمحي يركض فرسه في غطرسة جاهلية نحو الرسول ﷺ يريد الفتك به وهو يقول: **أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا**، فوقف له النبي ﷺ ثم أرداه قتيلًا بحربة قذفه بها قبل أن يقترب منه، فكان أُبي، الشقي هذا، الإنسان الوحيد الذي قتله الرسول ﷺ بيده الكريمة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَقْبَلَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَوْمَ أُحُدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُرِيدُهُ، فَاعْتَرَضَ رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَرَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ تُرْقُوَةَ أُبَيٍّ (أعلى الصدر، عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان) مِنْ فُرْجَةٍ بَيْنَ سَابِغَةِ الدِّرْعِ (درع سابغة: تامة طويلة) وَالْبَيْضَةِ (الخوذة)، فَطَعَنَهُ بِحَرْبَتِهِ، فَسَقَطَ أُبَيٌّ عَنْ

فَرَسِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَعْنَتِهِ دَمٌ، فَكَسَرَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَهُوَ يَخُورُ خُوَارَ الثَّوْرِ، فَقَالُوا لَهُ: **مَا أَعْجَزَكَ إِنَّمَا هُوَ خَدْشٌ**، فَذَكَرَ لَهُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُ أُبَيًّا**»، ثُمَّ قَالَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعِينَ**، فَمَاتَ أُبَيٌّ إِلَى النَّارِ، فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ مَكَّةَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] الْآيَةُ. [المستدرك ٢/ ٣٥٧ في التفسير رقم ٣٢٦٣، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي].

وعَنْ عُمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَذُلِقَ مِنَ الْعَطَشِ حَتَّى جَعَلَ يَقَعُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَتَرَكَهُ أَصْحَابُهُ، فَجَاءَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَطْلُبُهُ بِدَمِ أَخِيهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَقَالَ: **أَيْنَ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَلْيَبْرُزْ لِي، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا قَتَلَنِي**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْطُونِي الْحَرْبَةَ**»، فَقَالُوا: **يَا رَسُولَ اللهِ، وَبِكَ حَرَاكٌ؟** فَقَالَ: «**إِنِّي قَدِ اسْتَسْقَيْتُ اللهَ دَمَهُ**»، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ ثُمَّ مَشَى إِلَيْهِ فَطَعَنَهُ فَصُرِعَ [فَصَرَعَهُ] عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ فَاسْتَنْقَذُوهُ [فَاسْتَفْرَدُوهُ]، فَقَالُوا لَهُ: **مَا نَرَى بِكَ بَأْسًا**، قَالَ: «**إِنَّهُ قَدِ اسْتَسْعَى اسْتَسْقَى اللهَ دَمِي، إِنِّي لَأَجِدُ لَهَا مَا لَوْ كَانَتْ عَلَى رَبِيعَةَ وَمُضَرَ لَوَسِعَتْهُمْ**». [المصنف لابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٦٢ رقم ٣٧٩٣٩، ١٠/ ٣٢٠ رقم ١٩٨١٩، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح، وهذا السند: مرسل، لكن ابن أبي شيبة قال بعده مباشرة: حدثنا عفان، قال حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير: مثله، وهذا السند صحيح، فعفان ثقة ثبت إذا شك في حرف من الحديث تركه، وشيخه ثقة عابد من رجال مسلم ١/ ١٩٧، وبقية السند لا يسأل عنها. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨١].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أُسْنِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الشِّعْبَ أَدْرَكَهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: **أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ**، فَقَالَ الْقَوْمُ (أي: الحرس المحيطون بالرسول ﷺ): **يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَعْطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا؟** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**دَعُوهُ**»، فَلَمَّا دَنَا، تَنَاوَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ ﷺ، يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ فِيمَا ذُكِرَ لِي: فَلَمَّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ بِهَا ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الشَّعْرَاءُ ذُبَابٌ لَهُ لَدْغٌ ـ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَدَأْدَأَ، يَقُولُ: تَقَلَّبَ عَنْ فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَتَدَحْرَجُ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٤، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح إلى قوله: «فلما أخذها»، رواه: من طريقه أبو نعيم (٤٨٢)، وهذا السند: صحيح، الزهري إمام طبقته وشيخه ثقة من رجال الشيخين وله رؤية ١/ ٤٢٢، أما قوله: «فلما أخذها رسول الله ﷺ ـ أي الحربة ـ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشُّعْر عن ظهر البعير إذا انتفض»، فضعيف لأنه دون سند، بل هو من كلام ابن إسحاق. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٨٣].

وقال الواقدي: «حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لـمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَرْكُضُ فَرَسُهُ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ اعْتَرَضَ لَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَأْخِرُوا عَنْهُ**»، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ وَحَرْبَتُهُ فِي يَدِهِ، فَرَمَاهُ مَا بَيْنَ سَابِغَةِ الْبَيْضَةِ وَالدِّرْعِ فَطَعَنَهُ هُنَاكَ، فَوَقَعَ أُبَيٌّ عَنْ فَرَسِهِ فَكُسِرَ ضِلَعٌ مِنْ أَضْلاعِهِ، وَاحْتَمَلُوهُ ثَقِيلًا حَتَّى وَلَّوْا قَافِلِينَ، فَمَاتَ بِالطَّرِيقِ وَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧].

فَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الظَّفَرِيُّ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ قَدِمَ فِي فِدَاءِ ابْنِهِ وَكَانَ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عِنْدِي فَرَسًا لِي أُجِلُّهَا فَرَقًا (مكيال يسع ستة عشر منًّا، وقيل اثني عشر منًّا) مِنْ ذُرَةٍ كُلَّ يَوْمٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، وَيُقَالُ: قَالَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ، فَبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ كَلِمَتُهُ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا أَقْتُلُهُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللهُ**».

قَالُوا: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْقِتَالِ لا يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ فَكَانَ يَقُولُ لأَصْحَابِهِ: «**إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْتِيَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ مِنْ خَلْفِي، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَآذِنُونِي بِهِ**».

فَإِذَا بِأُبَيٍّ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسِهِ، وَقَدْ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ فَعَرَفَهُ فَجَعَلَ يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: **يَا مُحَمَّدُ لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ**، فَقَالَ الْقَوْمُ: **يَا رَسُولَ الله، مَا كُنْتَ صَانِعًا حِينَ يَغْشَاكَ فَقَدْ جَاءَكَ، وَإِنْ شِئْتَ عَطَفَ عَلَيْهِ بَعْضُنَا**، فَأَبَى رَسُولُ الله ﷺ وَدَنَا أُبَيٌّ، فَتَنَاوَلَ رَسُولُ الله ﷺ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ ﷺ، ثُمَّ انْتَفَضَ بِأَصْحَابِهِ كَمَا يَنْتَفِضُ الْبَعِيرُ فَتَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشَّعَارِيرِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُشْبِهُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا جَدَّ الْجِدُّ.

ثُمَّ أَخَذَ الْحَرْبَةَ، فَطَعَنَهُ رَسُولُ الله ﷺ، بِالْحَرْبَةِ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ، وَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: **أَبَا عَامِرٍ، وَالله مَا بِكَ بَأْسٌ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الذِي بِكَ بِعَيْنِ أَحَدِنَا مَا ضَرَّهُ**.

قَالَ: **وَاَللاتِ وَالعُزَّى، لَوْ كَانَ الذِي بِي بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ لَمَاتُوا أَجْمَعُونَ، أَلَيْسَ قَالَ: لأَقْتُلَنَّكَ؟** فَاحْتَمَلُوهُ، وَشَغَلَهُمْ ذَلِكَ عَنْ طَلَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَحِقَ رَسُولُ الله ﷺ بِعَظْمِ أَصْحَابِهِ فِي الشِّعْبِ.

وَيُقَالُ: تَنَاوَلَ الْحَرْبَةَ مِنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: مَاتَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ بِبَطْنِ رَابِغٍ، فَإِنِّي لأَسِيرُ بِبَطْنِ رَابِغٍ بَعْدَ هَوِيٍّ مِنْ اللَّيْلِ إِذَا نَارٌ تَأَجَّجُ فَهِبْتُهَا، وَإِذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا فِي سِلسِلَةٍ يَجْتَذِبُهَا يَصِيحُ: العَطَشَ، وَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: لا تَسْقِهِ فَإِنَّ هَذَا قَتِيلُ رَسُولِ الله ﷺ، هَذَا أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، فَقُلْتُ: أَلا سُحْقًا، وَيُقَالُ: مَاتَ بِسَرِفٍ (موضع على ستة أميال من مكة، من طريق مرو).

وَيُقَالُ: لـمَّا تَنَاوَلَ الحَرْبَةَ مِنْ الزُّبَيْرِ ﷺ حَمَلَ أُبَيٌّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ لِيَضْرِبَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ يَحُولُ بِنَفْسِهِ دُونَ رَسُولِ الله ﷺ، فَضَرَبَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ وَجْهَهُ، وَأَبْصَرَ رَسُولُ الله ﷺ فُرْجَةً بَيْنَ سَابِغَةِ البَيْضَةِ وَالدِّرْعِ فَطَعَنَهُ هُنَاكَ فَوَقَعَ وَهُوَ يَخُورُ». [المغازي للواقدي ١/ ٢٥١-٢٥٢].

وكان أُبَيٌّ بن خلف الشقي هذا شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وكان يؤذيه بمكة قبل الهجرة ويهدده بالقتل.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَلْقَى رَسُولَ الله ﷺ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: **يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عِنْدِي العَوْذَ فَرَسًا أَعْلِفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ**، فَيَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ الله**».

فَلـمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاحْتَقَنَ الدَّمُ، قَالَ: **قَتَلَنِي وَالله مُحَمَّدٌ**، قَالُوا لَهُ: **ذَهَبَ وَالله فُؤَادُكَ، وَالله إِنْ بِكَ مِنْ بَأْسٍ** (أي ما بك من بأس)، قَالَ: **إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ: أَنَا أَقْتُلُكَ، فَوَالله لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي**. فَمَاتَ عَدُوُّ الله بِسَرِفَ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٤].

مصرع عثمان بن عبد الله المخزومي:

«وَأَقْبَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الْمُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ يُحْضِرُ فَرَسًا لَهُ أَبْلَقَ يُرِيدُ رَسُولَ الله ﷺ وَعَلَيْهِ لأْمَةٌ لَهُ كَامِلَةٌ وَرَسُولُ الله ﷺ مُوَجِّهٌ إِلَى الشِّعْبِ، وَهُوَ يَصِيحُ: **لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتَ**، فَيَقِفُ رَسُولُ الله ﷺ، وَيَعْثُرُ بِهِ فَرَسُهُ فِي بَعْضِ تِلكَ الحُفَرِ التِي كَانَتْ حَفَرَ أَبُو عَامِرٍ فَيَقَعُ الفَرَسُ لِوَجْهِهِ، وَخَرَجَ الفَرَسُ عَائِرًا، فَيَأْخُذُهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فَيَعْقِرُونَهُ، وَيَمْشِي إِلَيْهِ الحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ ﷺ فَتَضَارَبَا سَاعَةً بِسَيْفَيْنِ ثُمَّ يَضْرِبُ الحَارِثُ رِجْلَهُ ـ وَكَانَتْ الدِّرْعُ مُشَمَّرَةً ـ فَبَرَكَ وَذَفَّفَ عَلَيْهِ.

وَأَخَذَ الحَارِثُ يَوْمَئِذٍ دِرْعًا جَيِّدَةً وَمِغْفَرًا وَسَيْفًا جَيِّدًا، وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَحَدٍ سَلَبَ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَنْظُرُ إِلَى قِتَالِهِمَا، وَسَأَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ الرَّجُلِ فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: «**الحَمْدُ لله الذِي أَحَانَهُ**».

وَكَانَ عَبْدُ الله بْنِ جَحْشٍ ﷺ أَسَرَهُ بِبَطْنِ نَخْلَةَ حَتَّى قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَافْتَدَى فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ حَتَّى غَزَا أُحُدًا فَقُتِلَ بِهِ.

وَيَرَى مَصْرَعَهُ عُبَيْدُ بْنُ حَاجِزٍ العَامِرِيُّ ـ عَامِرُ بْنُ لُؤَيٍّ ـ فَأَقْبَلَ يَعْدُو كَأَنَّهُ سَبُعٌ فَيَضْرِبُ الحَارِثَ بْنَ الصِّمَّةِ ﷺ ضَرْبَةً جَرَحَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، فَوَقَعَ الحَارِثُ جَرِيحًا حَتَّى احْتَمَلَهُ أَصْحَابُهُ، وَيُقْبِلُ أَبُو دُجَانَةَ عَلَى عُبَيْدٍ فَتَنَاوَشَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَتَّقِي بِالدَّرَقَةِ ضَرْبَ السَّيْفِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَاحْتَضَنَهُ، ثُمَّ جَلَدَ بِهِ الأَرْضَ، ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسَّيْفِ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَحِقَ بِرَسُولِ الله ﷺ».

[المغازي للواقدي١/ ٢٥٢-٢٥٣].

اعتصام المسلمين بالجبل:

«وهكذا نجح المسلمون في انسحابهم المنظم، وقطعوا الشِّعْب نحو هضاب جبل أُحد بعد اشتباكات متعددة تغلبوا فيها على خيالة المشركين الذين قاموا بمحاولات يائسة لإعاقة هذا الانسحاب وقَتْل الرسول ﷺ، ثم وصل المسلمون إلى هضبة عالية من هضاب جبل أُحد، وجعلوا منها خط دفاع حصين تحدوا منه كل المحاولات التي قام بها المشركون لسحقهم أو تشتيتهم من جديد.

والفضل في نجاح هذا الانسحاب الذي به نجا من خطر الإبادة تسعون في المائة من قوات المسلمين الذين بعثرتهم النكسة التي تسبب فيها تمرد الرماة على قائدهم في الجبل.. الفضل يعود في نجاح هذا الانسحاب في الدرجة الأولى إلى الموقع الذي اختاره الرسول القائد العظيم ﷺ معسكرًا لجيشه ومقرًّا لقيادته قبل المعركة، وهو فم الشِّعْب من أُحد الذي تكتنفه من الخلف هضاب هذا الجبل التي أصبحت بعد النكسة حصونًا منيعة اعتصم بها المسلمون وصدوا منها كل الهجمات اليائسة التي قام بها المشركون».

[غزوة أُحد لباشميل ١٦٣].

كاد المسلمون يقتلون النبي ﷺ:

«ويدل سير حوادث المعركة على أن بعض المسلمين الذين لم يعلموا بنجاة الرسول ﷺ من القَتْل، قد سبقوا النبي ﷺ إلى الهضبة التي قرر الاعتصام بها عندما انسحب من الميدان، وهم لا يعرفون مصيره بعد النكسة التي انعزل لها المسلمون بعضهم عن بعض.

وفي تلك الظروف العصيبة حاول أحد هؤلاء المسلمين الذين اعتصموا بالجبل قبل وصول النبي ﷺ إليه.. حاول قتل النبي ﷺ وهو في مقدمة أصحابه صاعدًا نحو الجبل، ظنًّا منه أن الرسول ﷺ والصاعدين معه في الجبل، هم من الأعداء الذين جاؤوا لمطاردة المسلمين».

[غزوة أُحد لباشميل ١٦٤-١٦٥].

كاد يكون أشأم سهم في الدنيا:

«فقد وضع هذا الرجل المسلم سهمًا في قوسه وصوَّبه نحو الرسول ﷺ لإطلاقه عليه، وكاد السهم ينطلق إلى صدر الذات المحمدية الشريفة، لولا أن الرسول ﷺ لحظ ذلك، فصاح وقد عرف أن المتهيئ للرمي من المسلمين: أنا رسول الله.

فنزع الرجل السهم من قوسه وفرح ومن معه في الصخرة بالرسول ﷺ ووصوله إليهم سالمًا، ويعلم الله كيف كانت حال هذا الرجل المسلم الذي كاد يقتل بسهمه سيد الأولين والآخرين؟

لا شك أن أسعد لحظة في حياته، هي تلك اللحظة التي نزع فيها سهمه من وتر القوس الذي كاد يكون أشأم قوس في الدنيا لو انطلق السهم منه نحو سيد البشر ﷺ.

وواصل الرسول ﷺ صعوده في الجبل حتى وصل إلى المكان الذي قرر التمركز فيه والاعتصام بـه، وهو مكان حصين يشبه الصخرة العظيمة في الناحية الشرقية من الشِّعْب». [غزوة أُحد لباشميل ١٦٥].

تأثير الجراح على قوة الرسول ﷺ:

«ويظهر أن الجراحة التي أُصيب بها النبي ﷺ أثناء صراعه مع المشركين بعد النكسة، قد أثرت عليه، وأن هذه الجراح قد سببت له ضعفًا في قوته الجسيمة.

ودليل ذلك أنه عندما أراد ارتقاء الصخرة لم يستطع إلا بعد أن جلس تحته طلحة بن عبيد الله ﷺ، الذي نهض به حتى استوى عليها.

عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ ﷺ قَالَ: كَانَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دِرْعَانِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَأَقْعَدَ طَلْحَةَ ﷺ تَحْتَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**» (أي: عمل عملاً أوجَب له الجنة). [الترمذي في الجهاد (١٦٩٢)، وفي المناقب (٣٧٣٨)، وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٦].

وعَنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ الله ﷺ مَا صَنَعَ، يَعْنِي حِينَ بَرَكَ لَهُ طَلْحَةُ فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ.

[مسند أحمد ٣/ ٣٣ رقم ١٤١٧، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن].

وعَنْ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ عَنْ مُصْعِدِينَ فِي أُحُدٍ، فَذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَنْهَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَبَرَكَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله تَحْتَهُ، فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَأَتَى الْمِهْرَاسَ، وَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ، فَأَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَافَهُ، فَغَسَلَ بِهِ الدَّمَ الَّذِي فِي وَجْهِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ**».

[صحيح ابن حبان ١٥/ ٤٣٦ رقم ٦٩٧٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده قوي، وقال الشيخ الألباني (٦٩٤٠): حسن].

وَعَنْ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ ذَهَبَ لِيَنْهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهَا، فَجَلَسَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله ﷺ تَحْتَهُ، فَنَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**». [المستدرك على الصحيحين للحاكم في المغازي والسرايا (٤٣١٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي].

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَنَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى صَخْرَةٍ مِنْ الْجَبَلِ لِيَعْلُوَهَا، وَقَدْ كَانَ بَدُنَ رَسُولُ الله ﷺ، وَظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ ﷺ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله ﷺ، فَنَهَضَ بِهِ حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ كَمَا حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمئِذٍ يَقُولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ**»، حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا صَنَعَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْلُغْ الدَّرَجَةَ الْمَبْنِيَّةَ فِي الشِّعْبِ. [سيرة ابن هشام٢/ ٨٦، وقال الشيخ الصوياني: سنده صحيح. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص٢٥٥].

كما أن نهوض طلحة ﷺ بالنبي ﷺ كان بركة عليه، إذ تسبب ذلك في علاج إحدى رجلي طلحة ﷺ من العرج الذي أصابها أثناء دفاعه عن النبي ﷺ بعد النكسة، وذلك أن طلحة ﷺ عندما حمل النبي ﷺ، تكلف استقامة المشي لئلا يشق على النبي ﷺ فاستوت رجله العرجاء لهذا التكلف فشفي من العرج، ويظهر أن سبب العرج الذي أصاب طلحة انفراط في الورك، وهذا الانفراط يسبب قصرًا في الرجل، ولا يزول هذا إلا بعد عودة ما انفرط إلى مكانه، وهذا لا يعود إلى مكانه إلا بعملية شد عنيفة تعيد العضو المفروط إلى مكانه، ولكن تكلف استقامة المشي ناب عن هذه العملية فعادت الورك إلى حالتها الطبيعية». [غزوة أُحد لباشميل ١٦٦-١٦٧].

النبي ﷺ يصلي قاعدًا من تأثير الجراح:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ عُمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَاعِدًا مِنْ الْجِرَاحِ الَّتِي أَصَابَتْهُ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ خَلفَهُ قُعُودًا. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٧].

تجمع المسلمين في الجبل:

«وبعد أن وصل الرسول ﷺ إلى المثابة المقصودة من الجبل أخذ المسلمون المشتتون هنا وهناك يتوافدون عليه ويتجمعون حوله ﷺ، وبهذا أخذت حالة المسلمين في التحسن وأخذت قوتهم تتزايد من جديد، بعد أن أصبحوا في مركز حصين صدوا منه جميع المحاولات التي قام به مشركو مكة لتطويقهم أو تشتيتهم من جديد، ذلك أن الرسول ﷺ تحصن بالمسلمين في شرف عال من الجبل يشبه الصخرة العظيمة الممتنعة، فأصبح لذلك من الصعب وصول المشركين إليه ﷺ، بل صار مجرد اقتراب المشركين من مقر قيادة الرسول ﷺ الجديدة في الجبل يعرضهم لسهام المسلمين الذين أصبحوا بعد انسحابهم في مكان يشرف تمامًا على جيش المشركين الذي تجمع الكثير منه تحت المسلمين في فم الشِّعْب من أُحد». [غزوة أُحد لباشميل ١٦٧].

طلب الرسول ﷺ للماء:

وقد أصاب النبي ﷺ عطش شديد أثناء الانسحاب، فطلب الماء.

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ قَالَ: «... ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَأْتِي الْمِهْرَاسَ (قال أبو ذر: قال أبو العباس: ماء أحد، وقال غيره: المهراس حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر، ويصب فيه الماء

لينتفع به الناس)، فَأَتَاهُ بِمَاءٍ فِي دَرَقَتِهِ، فَأَتَى بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ، فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا فَعَافَهُ، فَغَسَلَ بِهِ وَجْهَهُ ﷺ مِنَ الدِّمَاءِ الَّتِي أَصَابَتْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى مَنْ أَدْمَى وَجْهَ رَسُولِ الله**»، وكان الذي أدماه يَوْمَئِذٍ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ». [**المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٥٠ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ٤)، وصحح ابن حجر إسناده، وحسنه محققه**].

وعندما لم يستسغ الرسول ﷺ شرب الماء الذي جاء به علي بن أبي طالب ﷺ، ذهب محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ إلى مكان آخر للماء فجاء بماء عذب فشرب منه النبي ﷺ ودعا لابن مسلمة ﷺ بخير، ويظهر أن محمد بن مسلمة ﷺ طلب الماء للرسول ﷺ وجاءه به بعد أن استقر في مكانه من الجبل بعد الانسحاب». [**غزوة أُحد لباشميل ١٦٨**].

آخر هجوم يقوم به المشركون:

«وبعد أن تمركز المسلمون في هضاب جبل أُحد حاول المشركون القيام بالهجوم عليهم عدة مرات، ولكن جميع هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح، فقد شن المسلمون وهم في معتصمهم بالجبل هجمات مضادة على المشركين ردوهم بها على أعقابهم مما جعلهم يفقدون الأمل في النَّيْل من المسلمين من جديد.

وكانت آخر محاولة قام بها جيش مكة لضرب المسلمين في مواقعهم في الجبل هي تلك المحاولة التي قامت بها كتيبة من فرسان مكة، اقتحمت الجبل ناحية الرسول ﷺ بقيادة القائد العام أبي سفيان وخالد بن الوليد بغية ضرب المسلمين في مقرهم الرئيس حيث عسكر الرسول ﷺ.

وفعلًا وصلت كتيبة الخيالة في هجومها إلى نقطة في الجبل لا تبعد كثيرًا عن مقر قيادة الرسول ﷺ ولكن المسلمين بقيادة عمر بن الخطاب ﷺ شنوا على خيل أبي سفيان هجومًا مضادًّا فقاتلوهم حتى أجبروهم على الانسحاب والهبوط إلى الوادي». [**غزوة أُحد لباشميل ١٦٨-١٦٩**].

خسارة قريش في هجومها الفاشل الأخير:

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ بِالشِّعْبِ، مَعَهُ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ عَلَتْ عَالِيَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ الجَبَلَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: كَانَ عَلَى تِلكَ الخَيْلِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا**»، فَقَاتَلَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ وَرَهْطٌ مَعَهُ مِنْ المهَاجِرِينَ حَتَّى أَهْبَطُوهُمْ مِنْ الجَبَلِ». [**السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٦**].

وقد تكبد المشركون في هذا الهجوم الفاشل ثلاثة من القتلى كلهم صُرعوا بنبال الرامي المشهور سعد بن أبي وقاص ﷺ.

«وفي مغازي الأموي: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ صَعَدُوا عَلَى الجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِسَعْدٍ ﷺ: «**اجْنُبْهُمْ**» ـ يَقُولُ: ارْدُدْهُمْ ـ فَقَالَ: **كَيْفَ أَجْنُبُهُمْ وَحْدِي؟** فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، فَأَخَذَ سَعْدٌ ﷺ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَرَمَى بِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ، قَالَ: **ثُمَّ أَخَذْتُ سَهْمِي أَعْرِفُهُ، فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ أَعْرِفُهُ، فَرَمَيْتُ بِهِ آخَرَ فَقَتَلْتُهُ، فَهَبَطُوا مِنْ مَكَانِهِمْ، فَقُلْتُ: هَذَا سَهْمٌ مُبَارَكٌ، فَجَعَلْتُهُ فِي كِنَانَتِي**، فَكَانَ عِنْدَ سَعْدٍ ﷺ حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ بَنِيهِ». [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٨٩].

إنهاء القتال:

«وبفشل المحاولة اليائسة الأخيرة التي قام بها أبو سفيان بنفسه للهجوم على المسلمين بعد اعتصامهم بهضاب جبل أُحد يئست قريش من المسلمين، وتأكد لدى قادتها أن المسلمين أمنع من أن ينالوا منهم شيئًا من جديد بعد أن أعادوا تنظيمهم والتفوا حول قائدهم الأعلى النبي ﷺ في تلك المواقع الحصينة.

يضاف إلى هذا أن الإعياء والتعب قد بلغ من الجيش المكي مبلغًا عظيمًا، لاسيما أن هذا الجيش قد تلقى من جند الإسلام في الصفحة الأولى من المعركة ضربات موجعة مزلزلة، كان لها أبلغ الأثر في إدخال الرعب والفزع إلى قلوب جند مكة الذين أباد المسلمون في لحظات خاطفة جميع أفراد فصيلة لوائهم حتى مرغوه في التراب، ثم أنزلوا بجيش مكة في هجوم خاطف مذهل عارم هزيمة كادت تكون ساحقة لولا غلطة الرماة غفر الله لهم.

وهكذا وبعد أن يئس قادة قريش من المسلمين، قرر أبو سفيان إنهاء القتال، وأعطى الأوامر إلى جنده بالاستعداد للرحيل.

وبهذا وضعت الحرب أوزارها، وانتهت العمليات العسكرية في منطقة أُحد».

[غزوة أُحد لباشميل ١٧٠].

النعاس يغشى المؤمنين دون المنافقين:

عَنْ أَبِي طَلحَةَ ﷺ قَالَ: **كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا، يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ.** [البخاري في المغازي (٤٠٦٨)].

وفي رواية أَنَّ أَبَا طَلحَةَ ﷺ قَالَ: **غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا** (١) **يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي**

(١) قال أ/ حوى: الذي يبدو لي أن النعاس أصابهم مرتين يوم أُحد، مرة قبل المعركة، ومرة بعد المعركة، والروايات هذه تشير إلى الاثنتين، فلا شك أن النعاس الذي أشارت إليه الآية كان بعد المعركة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، والنعاس الذي أشار إليه النص «وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا» كان قبل المعركة، واختلط الأمر على بعض الرواة فدمجوا الروايتين. الأساس في السنة ٢/ ٥٦٠. قلت: وحديث الزبير ﷺ الآتي يؤكد أنه كان في نهاية المعركة.

يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ. [البخاري في تفسير القرآن (٤٥٦٢)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٨)، ومسند أحمد ٢٦/ ٢٧٧ رقم ١٦٣٥٧].

وفي لفظ الترمذي زيادة: «... **وَالطَّائِفَةُ الأُخْرَى الْمُنَافِقُونَ، لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، أَجْبَنُ قَوْمٍ وَأَرْعَبُهُ، وَأَخْذَلُهُ لِلحَقِّ**».

وعَنْ أَبِي طَلحَةَ ﷺ قَالَ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلتُ أَنْظُرُ، وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ (يميل ويتحرك) تَحْتَ حَجَفَتِهِ (الدرع من الجلد) مِنْ النُّعَاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾. [الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

وَقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الخَوْفُ، وَأُرْسِلَ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ، أَوْ قَالَ: ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، فَوَالله إِنِّي لَأَسْمَع كَالحُلُمِ قَوْلَ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيرٍ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا، فَحَفِظْتُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ إلى قوله: ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لِقَوْلِ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيرٍ قَالَ: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران].

[المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٤٩ كتاب المغازي والسير ٤٢٦٠/ ٣، وصحح ابن حجر إسناده، وحسنه محققه].

وَقَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: وَالله إِنَّ النُّعَاسَ لَيَغْشَانِي، إِذْ سَمِعْتُ ابْنَ قُشَيرٍ يَقُولهَا، وَمَا أَسْمَعُهَا مِنْهُ إِلَّا كَالحُلُمِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران]. [المطالب العالية لابن حجر ١٧/ ٣٤٧ كتاب المغازي والسير (٤٢٦٠/ ٢)، وصحح ابن حجر إسناده، وحسنه محققه].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، قَالَ: أُلْقِيَ عَلَيْنَا النَّوْمُ يَوْمَ أُحُدٍ. [مجمع الزوائد ٦/ ١٦٧ كتاب المغازي والسير (١٠٠٩٣)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط [٤/ ٢٧١ رقم ٤١٧٢]، وفيه ضرار بن صرد وهو ضعيف].